ومن بين (الشيوخ الاجلة) العلامة المصلح سيدي محمد الحجوي الذي افتتح المحاضرات بمحاضرة مفيدة في تطور الاسلوب الكتابي بالمغرب وفاس ، والمؤرخ البحاثة مولاي الكبير بن زيدان فقد القى محاضرة رائقة في موضوع نظام المخزن داخل القصر السلطاني وخارجه ، وحاضر الفقيه النزيه سيدي عبدالواحد الفاسي في الخطابة والخطباء بفاس، والفقيه الفاضل سيدي علي بن محمد الطيب الشرفي في محاسن فاس، والاديب اللبيب سيدي محمد المهدي الحجوي في حياة ليون الافريقي (ابن الوزان الفاسي)، والاستاذ البحاثة سيدي احمد الصبيحي في موضوع اللغة الدارجة ، والقى الشاعر المطبوع سيدي الحاج عبد الله القباج قصيدة نفيسة في المولى ادريس الازهر مؤسس فاس.

وبالجملة فقد كان المؤتمر عظيم الأثر والنتائج على العلوم والاداب والابحاث القيمة ، وكان مجلس انس وتعارف واستعلام لم نأسف على شيء اسفنا على انصرام اجله وقصر مدته ، ولاجل ان نشرك معنا قراءنا الكرام في فوائد المحاضرات التي القيت فيه فانا خصصنا لذلك ذيلا تنشر فيه تباعاً بعض ما اتصل بنا منها يوزع على السادات المشتركين مع هذا العدد، وتشتمل الرسالة الاولى على المحاضرات المتعلقة بموضوع اللغة العربية خاصة.

السيد احمد السنوسي

توصلنا من المكتب الدائمي للمؤتمر الاسلامي بنداء عام يدعو فيه المسلمين في جميع الانحاء لان يصلوا صلاة الغائب على هذا الفقيد الكريم عقب صلاة الجمعة الاولى من شهر محرم الحرام وقد لبى المسلمون هذا النداء في بعض المدن من المغرب فجازاهم الله عن الاسلام خيراً وتغمد الراحل العظيم برحمته ورضوانه.

بين الامس واليوم

ننشر فيما يلي نص شذرات مقيدة انتخبناها متفرقة من غضون المحاضرة النفيسة التي القاها صديقنا الفقيه العدل السيد علي بن محمد الطيب الشرفي في احدى جلسات المؤتمر وذلك بغية منا في ان يقف منها مختلف القراء على مقدار تأصل خلق الرحمة والشفقة والحنان في نفسية المسلم المغربي عموماً والفاسي خصوصا وكيف أنه كان يتلقى عن تعاليم الاسلام وصاة الانعطاف حتى الى جنسه الحيوان بمثل انعطافه الى اخيه الانسان، وفي ذلك على رقي اصل المدنية الاسلامية وعلى قدم نضوج العقلية المغربية دلائل ونماذج نرجو ان يحذو حذوها العاملون ويتذكر بها أولوا الالباب :

من محاسن فاس مارستانها أي ملجأها الخيري القديم فان له احباساً كثيرة من الاهالي والملوك ، ويقام بمن يدخله من المرضى ومن زال عقله بما تدعو له ضرورة الحياة مما لابد منه للمتوسطين وكان نظاره يجعلون ادخار الاقوات عند ابانها وكان المخزن يعينهم على ذلك سنويا حسبما بظهير شريف وقفت عليه للسلطان سيدي محمد بن مولانا عبد الرحمن ما نصه بعد افتتاحه : (خديمنا الارضى الطالب ادريس السراج وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فنامرك أن تكلف الامناء أن يدفعوا لضعفاء المارستان ما جرت العادة بدفعه لهم من القمح والسمن والخليع على يد الناظر السيد محمد بوعنان والسلام في ٩ جمادى الاولى عام ١٢٨١).

وكان يعطى من أحباس المارستان لمن خانهم الدهر من البيوتات الكبار ساكني الحومات الكسوة والخبز والنقد يومياً وشهريا والكسوة سنويا ، من ذلك ظهير شريف للسلطان مولانا عبد الرحمن نصه بعد الافتتاح :

(ناصر ناظر المارستان في حينه ان يرتب لاولاد الشريف الفقيه الحيسوبي السيد ادريس القادري خمس عشرة اوقية عن كل شهر لضعفهم وفاقتهم والسلام . في غرة شعبان المبارك عام ١٢٤٨).

وكانت امور الاحباس من قديم عند سلفنا الصالح مضبوطة وتصرفاتها بالاحكام الشرعية منوطة وكان المتقدمون من النظار يحفظون حق الايتام ويقومون بالنصيحة في وظيفهم بحسب الامكان ويختارون من اوارع كل زمان حتى ان بعضهم كان يتبرع بأجرته على الحبس.

وحيث كان معظم الخير والاحسان الصدقة الجارية التي لاتنقطع بمرور الازمان ، بقي الوقف والحبس وهو باب خير عظيم ، وكثير الحبس من افاضل الامة كالصحابة فمن دونهم وجرى على ذلك العلماء والامراء وافراد الامة في الاقطار الاسلامية وما هو من ذلك بالمغرب الاقصى ومدينة فاس شيء كثير ودون له ائمة المذاهب كتباً وابواباً خاصة بالاحباس وما يعرض لها من القضايا والنوازل ومقصور على نظر القضاة المعقب منه .

ومن ذلك التحبيس على المنادي الذي كان ينادي في الاسواق عند نزول المؤذنين من المنار وارادة اقامة الصلاة بقوله الصلاة يرحمكم الله جهاراً تنبيهاً للغافلين.

ومن ذلك الحبس على المؤذنين العشرة الليليين الذين يقومون بالمنارات نصف ساعة لكل واحد تأنيساً للمرضى ولمعرفة تقاسيم اجزاء الليل بصوت كل مؤذن حيث لم تكن مجانات متعددة .

ومن ذلك المسمع الذي يذكر الامداح النبوية والادعية في المئاذن ليلتي الجمعة والاثنين لبيان فضلهما وايقاظ من سهى عنهما ويسمى الداعي .

ومن ذلك ما كان من تحبيس ثلاثة دينار كل واحدة بفرشها واثاثها على من يريد اعمال ولائم العرس من المتوسطين والضعاف الذين لامحل لهم لذلك ، واحدة بعدوة الاندلسيين بحومة العيون بالوسعة بيد بعض الشرفاء الدباغيين الادريسيين بوجه التنفيذ على أنها حبس . والثانية بالدرب الذي أعلى السبع لويات أولى يسرة داخله من عدوة اللمطيين فى تصرف الحبس الى الآن . والثالثة بالعدوة من حومة الكدان قرب جامع الاندلس قبالة جامع جنائزها عهدناها زريبة فى تصرف الاحباس ثم صيرها الحبس الان فندقاً وحوانيتاً وعاينا بها قبل بنائها كما ذكر بيوتا كبيوت دور فاس وبها من ابدع صناعة النقش في الخشب والجبص ما عهد مثله في ارفع الاماكن بفاس

ومن ذلك تحبيس دارين لسكنى العميان بيدهم الى الآن واحدة بالعدوة والثانية باللمطيين وهما مشهورتان .

ومن ذلك تحبيس اهالي فاس العقار الكثير على الوظائف الدينية من مدرس وواعظ وخطيب ومتعلم وامام ومؤذن وقراء الحزب وغير ذلك من خبز طلبة المدارس ونحوه وعلى تفسير ما يقرؤ من تفسير وحديث وسيرة وفقه وتصوف ووعظ وغير ذلك الكثير منه على جامع القرويين وجامع الاندلس والمدارس تعييناً لما يقرؤ في ذلك .

ومن ذلك التحبيس على من يقرؤ من القرءان ما تيسر ويهدي ثوابه للاموات ويعرف باحباس المقابر ولعله لا يوجد اكثر منه في احباس القرويين ، وهذا فيه فائدة للاموات والاحياء فانه كان ينفذه القاضي للعلماء الذين يقومون بوصية المحبس وكان سبباً لوفود العلماء من البلدان

على فاس ، فانه مهما ورد عالم الا ونفذ له منه بنظر قاضي الوقت ما يستحقه وقد ادركنا ذلك منفذاً بيد أناس .

ومن ذلك ما كان يعطى من الاحباس لشراء الحبوب للطيور زمن المسغبة بكديتي البراطيل داخل باب الفتح وخارج باب عجيسة ويقال ان الحبس على ذلك هي البلادات بفج الله اكبر الخالصة والجزاء خارج باب الفتح وهي المعينة لذلك .

ومن ذلك ايضاً ما كان يجمعه المحتسب من سوق العرض اي محل بيع الحبوب وهو ان المشتري اذا اراد بيع الحب توجه للسوق المذكور بنحو ملء الكفتين عرضاً اي مشترىً يعرض على المشتري حتى اذا تم التبايع ادخله الدلال لبيت من بيوت الاحباس هناك اذ السوق المذكور كله حبس ويأتي من ذلك العدد كل يوم انواع كثيرة حتى اذا اجتمع من ذلك شيء وجهه المحتسب مع احد اعوانه كل يوم للكديتين المذكورتين للطيور زمن فقدان الحبوب من الارضين كالربيع مثلا رحمة بهم ، والراحمون يرحمهم الرحمن .

ومن ذلك ما كان يشتريه نظار الاحباس من مواعين الفخار وتنزل عند اجير اعلا باب حفاة القرويين في احد البيوت المقابل بجوار مدرسة العطارين وبالبيت قبالة حفاة جامع الاندلس والباب المدرج الذي اعلاه البرج الضخم العجيب الذي هو الغاية في حسن الاثر يعطى ذلك لمن تكسر له ماعون من الضعاف والعجزة والصبيان يأتي بالمكسر ويقبض عوضه رغبة في الاجر .

ومن ذلك المال الحبسي الذي كان منزلا ببعض حوانيت القيصرية لاجل السلف لدى الحاجة رغبة في تكثير الحسنات حيث علم اولئك السادات ان ثواب درهم الصدقة بعشرة ودرهم القرض اي السلف بثمانية عشر كما في جديث يستسلف بجميل لمن كان غير ملي وبدونه لمن كان مليا ولهذا المال ذكر عند شراح التحفة لدى قولها :

الحبس في الاصول جائز وفي
منوع العين بقصد السلف

وبقي الامر كذلك الى أن تلف المال والناظر عليه ومن يعرف ذلك بسبب الاوبئة المتعددة التي اخلت فاساً مراراً ، وكذا بالفتن والحروب وهذا هو السبب في اندثاره ، والعلة التي ذكرها الشيخ التاودي نفاها غيره بما قررناه .

ومن ذلك التحبيس على الجذمى ، كانت حارتهم اولا بظهر المرس المسمى قديماً حجر ابو غازي قبالة ضريح ابي الحسن بن حرزهم الاموي وكان يخرج اليها من الباب الذي قرب دار مولانا ادريس محل سكناه بجرواوة ومسجده ثمه ، ثم انتقلوا بعد الى محلات اخرى .

ومن ذلك البلاد المعروفة « بالحاجة باورات » ، كانت معدة لرعي جمال حبس الركب النبوي بقصد الرعي فيها لان الركب كان يغيب سنة كاملة فتقسم تلك الجمال نصفين ، يذهب في كل سنة النصف ويبقى النصف بقصد الاستراحة والرعي الى العام الذي يليه... ولما انقطع الركب عن الذهاب هذه ازيد من مائة سنة صار الحبس يستغلها بالكراء الى زمن السلطان مولاي عبد الحفيظ فعوضت وصارت ملكا ، وقيل لعلها من تحبيس المرأة ورقا بنت يثناء الحاجة من أهل طليطلة سكنت فاساً وكانت اديبة شاعرة صالحة كثيرة فعل الخيرات وتوفيت بعد الاربعين وخمسمائة .